

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

من شجرة معرفة الخير والشر كان سبب سقوط الإنسان. أما في الصوم فبامتناعنا عن تناول ما لذ وطاب من الأطعمة نعلن رفضنا لشهوات طبيعتنا الساقطة. الصوم الكبير المقدس هو فترة جهاد لنحرر ذواتنا من تسلط الجسد والمادة على الروح. المشكلة ليست في الطعام بل في الشهوة. آدم أكل من الشجرة لأن الشهوة أغوته وأقنعتة بأنه قد يصبح إلهًا من تلقاء

نفسه دون الإتكال على الله. في الصوم يتدرب الإنسان على السيطرة على شهوته فلا تعود الشهوة مسيطرة عليه، وبذلك يكون وضع نفسه على

درب الفردوس الذي أقامه الله عليه سيداً في الخلق (تك ١: ٢٨-٣٠). «إن آدم قد طرح من نعيم الفردوس من جراء الأكلة المرة بالإسراف والبذخ إذ لم يحفظ وصية السيد فحكم عليه بأن يعمل في الأرض التي منها أخذ ويأتعب كثيرة يأكل خبزه. فسبيلنا أن نتوق إلى الإمساك لكي لا نكون خارج الفردوس نائحين مثل ناك بل نلج إليه» (من سحر أحد مرفع الجبن).

إنجيل اليوم يدعونا أن نغفر بعضنا لبعض لكي ننال غفران الله وبالتالي نستعيد الملكوت المفقود ونصل إلى هدف الصيام: «إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوك السماوي.

أحد مرفع الجبن

اليوم تنتهي فترة التهيئة للصوم الكبير المقدس ونرفع الجبن والحليب ومشتقاته والسّمك من عن موائدنا وندخل غداً الإثنين في رحلة روحية مكثفة بالصيام والصلوات متجهين نحو عيد الأعياد وموسم المواسم: الفصح المقدس.

في هذا اليوم، وبحسب الكتب الليتورجية، نقيم «تذكار نفي آدم أول الجبل من فردوس النعيم» (سنكسار العيد). في بدء الصوم نتذكر طرد آدم من الفردوس لكي نضع نصب أعيننا أن هدف صومنا هو

استعادة الملكوت المفقود، الملكوت الذي فقدناه بسبب خطيئتنا، لكن الرب فتح أبوابه أمامنا مجدداً بموته وقيامته، عندما غلب الشرير الذي أسقطنا في البدء. خطيئة الإنسان حرمته من الشركة مع الله، حرمته الملكوت، والمسيح الرب المخلص محاصك الخطيئة عندما سمر على الصليب وفتح باب الفردوس أمام كل من يتبعه بإيمان، الإيمان العملي وليس النظري، أي الإيمان المُعبّر عنه بالأعمال وليس بالكلام فقط.

إنجيل اليوم (متى ٦: ١٤-٢١) يدعونا إلى الصوم والغفران. الأكل

الرسالة

(رومية ١٣: ١١-١٤؛
١٤: ١-٤)

يا إخوة إن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد تناهى الليل واقترب النهار فلندع عن أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور لنسلك سلوكاً لائقاً كما في النهار لا بالقصوف والسكر ولا بالمضاجع والعهر ولا بالخصام والحسد بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تهتموا بأجسادكم لقضاء شهواتها من كان ضعيفاً في الإيمان فاتخذوه بغير مباحثة في الآراء من الناس من يعتقد أن له أن يأكل كل شيء. أما الضعيف فيأكل بقولاً فلا يزدرد الذي يأكل من لا يأكل ولا يدين الذي لا يأكل من يأكل فإن الله قد اتخذه من أنت يا من تدين عبداً أجنبياً. إنه لمولاه يثبت أو يسقط. لكنه سيثبت لأن الله قادر على أن يثبت.

الإنجيل

(متى ٦: ١٤-٢١)

قال الربُّ إن غفرتُم للناس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي أيضاً* وإن لم تغفروا للناس زلاتهم فأبوكم أيضاً لا يغفر لكم زلاتكم* ومتى صُمتُم فلا تكونوا مُعيسين كالمرائين. فإنهم يُنكرون وجوههم ليظهروا للناس صائمين. الحقُّ أقول لكم إنهم قد أخذوا أجرهم* أما أنت فإذا صُمت فادهن رأسك واغسل وجهك لئلا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفية. وأبوك الذي يرى في الخفية يُجازيك علانية* لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والأكلة وينقب السارقون ويسرقون* لكن اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا أكلة ولا ينقب السارقون ولا يسرقون* لأنه حيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم.

تأمل

لا يقتصر الصوم على الابتعاد عن الأطعمة الشهية، لأن الصوم الحقيقي هو في الابتعاد عن كل شر، الحد من كل

ونتهف هكذا قائلين: المسيح قام من بين الأموات...» ألا أهلنا الرب أن نجوز مسافة الصوم ونعاين قيامته المحيية.

القديس بوليكاربوس أسقف إزمير

ينتمي القديس بوليكاربوس، الذي تعيد له الكنيسة في ٢٣ شباط، إلى جيل الآباء الأولين الذين عاصروا رسل المخلص وتعلموا عليهم. هو أسقف إزمير الذي كتب له القديس إغناطيوس الإنطاكي، وهو في طريقه إلى الإستههاد، رسالة قيّمة ما زالت محفوظة في تراثنا الأبائي حتى الآن. تتلمذ بوليكاربوس على الرسول يوحنا اللاهوتي، ولعل هذا ما جعل له مكانة رفيعة في وسط شعبه. من الدلالات الأخرى على ما كان للقديس من مكانة، ذهابه إلى روما في منتصف القرن الثاني والحوارات التي أجراها هناك مع أنيكييتوس بابا روما بشأن العديد من المسائل الكنسية، لا سيما مسألة تحديد تاريخ التعميد للفصح التي كانت محل جدل آنذاك. التاريخ الكنسي لأفسافيوس ينقل أن أي اتفاق بهذا الشأن لم يحصل بين الراعيين، لكنهما اشتركا معاً في الخدمة الإلهية وافترقا فيما بعد بمحبة وسلام.

هذا وقد جد بوليكاربوس، إبان أسقفيته، في محاربة الهرطقات ببسالة وإقدام، إلى محبة أبوية خالصة ساهمت في هداية الكثير من الضالين. الآثار الباقية في التراث من تعاليمه تدل على مبادئ أساسية متينة لما صار فيما بعد عقائد، لا سيما فيما يختص بالتعليم الخريستولوجي وسر الفداء الحاصل على الصليب، والتنظيم الكنسي ومزايا الرعاة، إلى التعليم المتعمق في أمور الفضيلة وعيش المسيحية

وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم» (متى ٦: ١٤-١٥). إذا كان الفصح هو هدف الصوم فلا بد أن نبدأ الصوم بالغفران، لأنه بالفصح حصلت المغفرة للبشر وتصلحت البشرية مع الله ومع نفسها. ولكي نحصل على نعم الفصح ونتأججه يجب أن نعمل بحسب ما أوصانا الرب: أن نغفر بعضنا لبعض لننال غفران الله.

من نتائج سقوط البشرية في الخطيئة منذ البدء الإنقسام والبغض. فأدم اتهم حواء بأنها سبب سقوطه (تك ٣: ١٢)، وقايين قتل هابيل بسبب الغيرة وقلّة المحبة (تك ٤: ٤). وحده الغفران يدكُ حصن الخطيئة لأن فيه المحبة والوحدة والتعاضد. محبة الله التي لا تحد ولا تدرك. ظهرت لنا جلياً عندما أرسل ابنه الوحيد ليتجسد ويصلب ويقوم من أجلنا. ونحن عندما نغفر بعضنا لبعض ندخل في فلك محبة الله وننال غفرانه. من منا بلا خطيئة ليحاسب أخاه؟ كلنا خطأ وبحاجة إلى الغفران. من يغفر اليوم يكسب الملكوت منذ اليوم، لأننا لا ندري إذا كنا سنحيا ليوم غد لنوئل الغفران والمصالحة مع الآخرين فنضيق فرصة دخول الملكوت.

عندما سأل الرسول بطرس الرب «كم مرة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له. هل إلى سبع مرات. قال له يسوع: لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات» (متى ١٨: ٢١-٢٢). إذا كان الرقم سبعة هو رقم الكمال، «سبعين مرة سبع مرات» تعني إلى ما لا نهاية.

وحده الغفران يدخلنا منذ اليوم في فرح الفصح لأن الفصح هو زمن الغفران بامتياز كما توحى لنا الترنيمة التي نرنمها صباح يوم الفصح «اليوم يوم القيامة... ولنصفح لمبغضينا عن كل شيء في القيامة

عمل ظالم، الابتعاد عن كل ما يحزن الآخر بل إعانتة في كل ما يحتاج إليه (إشعيا ٦:٥٨). لا تصوموا وأنتم في نزاع مع الآخرين. أنت لا تأكل لحماً بل ترغب في مأكّل لحم أخيك. تمتنع عن شرب الخمر لكنك لا تقطع لسانك عن التجديف. تنتظر هبوط الليل لكي تفطر بينما تمضي النهار كله في المحاكم. الويل للسكرارى من غير شرب الخمر. الغضب ما هو إلا سكر للنفس لأنه يُخرج الإنسان عن صوابه كما يفعل فيه الخمر. الحزن أيضاً نوع من السكر لأنه يُظلم الفكر. والخوف أيضاً نوع آخر عندما لا يبرر مصدره. لذلك يقول المزمور: «نجّ نفسي من خوف العدو» (مز ٦٣:٢). وبصورة عامة الأهواء النفسية المختلفة التي تسبب اضطراباً للذهن يمكن اعتبارها نوعاً من السكر.

أنظر جيداً إلى الغاضب كيف يصبح من شدة غضبه كالسكران، لا يعود يسيطر على نفسه، لا يلاحظ حاله ويتجاهل وجود الآخرين. كما في حرب ليلية يضرب عشوائياً. يتفوه بكلام غير لائق، يشتم، يضرب، يهدد، يحلف، يصرخ وكأنه على وشك الانفجار. تجنب مثل هذا النوع من السكر كما ولا

بحق.

كتب بوليكر بوس العديد من الرسائل إلى الجماعات المسيحية المحيطة برعيته، وإلى البعض من أخوته الأساقفة، بغية إرشادهم وتثبيتهم وتعزيتهم. بيد أن النص الوحيد المتبقي لنا من كتاباته هو رسالة من ١٤ فصلاً وجهها إلى المسيحيين في فيليبى بعيد استشهاده القديس أغناطيوس الإنطاكي. فقد طلب مسيحيو فيليبى إلى بوليكر بوس أن يبعث إليهم بنسخة من رسالة أغناطيوس إليه، فأرسلها لهم مرفقة بخطاب تعليمي خطه بيده. لا شك أن رسالة بوليكر بوس لا تتميز بأسلوب أو جمال أدبي لافت، إلا أنها محبوكة بالكتاب المقدس حبكاً. كما وتنقل إلينا صورة جلية عما كان في الكنيسة آنذاك من عقيدة وتنظيم كنسي وألوية لعيش المحبة والرحمة وأعمال البر والسلوكيات المسيحية التي ترضي الله.

في الشأن العقيدي ترسم الرسالة معالم واضحة للعقيدة الخريستولوجية، لا سيما فيما يختص بالتجسد الإلهي وموت السيد على الصليب وقيامته ومجيئه الثاني وقيامه الأموات والدينونة: «فكل من لا يعترف بأن يسوع المسيح قد جاء بالجسد هو مضاد المسيح، وكل من لا يعترف بالشهادة على الصليب هو من الشيطان، ومن يحور كلام الرب من أجل رغباته ومصالحه الخاصة، ولا يعترف بقيامة الموتى وبالدينونة هو بكر إبليس» (٧:١).

أما في ما يختص بالتنظيم الكنسي فهو يحث المؤمنين على إتمام الطاعة الواجبة للكهنة والشمامسة «وكانها الطاعة لله وليسوع المسيح». قد يستدل من هذا على أن كنيسة فيليبى كان يرعاها مجمع من الشيوخ (الكهنة). كما يكتب حول ما ينبغي أن يتحلى به

الكاهن من مزايا، حاثاً الكهنة على الجد في اقتناء الرحمة فيعودوا المريض ويحضنوا اليتيم والأرملة والمسكين. هذا بالإضافة إلى العمل الدؤوب على استرداد الضالين، والتعليم بالقدوة، واجتناب الغضب وسرعة الحكم، وأن لا يلتمسوا رضى إلا من الله. أما فيما يختص بنظرة الكنيسة إلى السلطات الزمنية فيوصي القديس: «صلوا من أجل الملوك والحكام والأمرء، صلوا من أجل الذين يضطهدونكم والذين يبغضونكم ومن أجل أعداء الصليب، حتى تكون ثماركم واضحة وتكونوا كاملين في الله.

يحتل الإحسان في تعليم بوليكر بوس مكانة عليا، إذ إن المؤمن المحسن يصبح على مثال الرب نفسه، وبأعمال الرحمة والمحبة يظهر صلاح سيده، تشديداً للمؤمنين وتشجيعاً للمترددين وآية من آيات مجد الله للأمم والغرباء. يقول: «متى قدّر لكم أن تصنعوا الإحسان لا تتأخروا، فالإحسان ينجّي من الموت. كونوا خاضعين بعضكم لبعض، واحفظوا السلوك الحسن بين الأمم والغرباء عن الإيمان فتمتدحون من أجل أعمالكم الصالحة، لئلا تكونوا سبباً لإهانة الرب، لأنه ويل لمن يشتم اسم الرب بسببهم علموا الجميع الوداعة وأظهروها أيضاً في مسلكتكم.

فصلاً كاملاً من الرسالة، وآيات عديدة في فصول أخرى، خصصها بوليكر بوس للصبر المدعوم بالصوم والصلاة، تمجيداً للرب يسوع الذي «حمل خطايانا في جسده على الصليب وهو لم يفعل خطيئة (...) لكنه احتمل كل شيء من أجلنا لنحيا نحن فيه»، «فأعطانا هو المثل ونحن أمثالاً به». كما ويتمثل بوليكر بوس في حثه على الصبر والرجاء بما عايناه من مآثر

تسكر أيضاً بالخمير. لا تفضل شرب الخمر على الماء، حتى لا يسوق السكر نفسه إلى الصوم. لا يمكن للسكر أن يكون مقدمة للصوم المبارك كما أن الطمع لا يقود إلى العدالة. كذلك لا تستطيع عن طريق الخلاعة أن تصل إلى العفة وبصورة عامة عن طريق الرذيلة أن تصل إلى الفضيلة. الصوم له مدخل آخر. السكر يقود إلى الخلاعة، أما القناعة فهي تقود إلى الصوم...

العبد يهرب من سيده عندما يضربه. وأنت تنوي البقاء مع الخمر وهو يضربك كل يوم على رأسك؟ ان أفضل مقياس لشرب الخمر هو حاجة الجسد. ان تخطيت هذا الحد يأتي وجع الرأس، تتهاب، تستنشق رائحة الخمر المخلل، كل شيء حولك يدور ويضطرب. السكر يقود إلى النوم الذي يشبه الموت أو إلى الصحو الذي يشبه اللحم.

أتعلم يا ترى من هو مزعم أن يأتي وتتقبله؟ هو الذي وعدنا بقوله «نأتي أنا وأبي وعنده نضع منزلاً» (يو ١٤: ٢٣). لماذا إذا تسرع عن طريق السكر وتوصد الباب أمام الرب؟ لماذا تفتح مجالاً للعدو حتى يقوِّض تحصيناتك؟ ان السكر لا يتقبل الرب. هو يطرد الروح القدس. كما أن الدخان يطرد النمل كذلك تهرب المواهب الروحية من السكر.

القديس باسيليوس الكبير

القديسين، وهو يتخذها مثلاً حياً ينبغي أن يُحتذى به.

إستشهاد: يحفظ لنا التراث رسالة من كنيسة إزمير إلى المؤمنين في فريجية الصغرى، تحكي بالتفصيل استشهاد بوليكرَبوس البطولي، بُعيد رجوعه من روما، وتحديدًا في ٢٣ شباط سنة ١٥٦، يوم السبت العظيم. استشهاد بوليكرَبوس تم حرقاً بالنار، زمن ولاية حاكم آسيا ستاتيوس كوادراتوس الذي عرض على بوليكرَبوس النجاة مقابل أن ينكر المسيح ويذبح للأوثان. فما كان من القديس إلا أن بادره قائلاً «ستأ وثمانين سنة قضيتها في خدمة المسيح ولم يظلمني يوماً بشيء، فكيف لي إذا أن أهين ملكي ومخلصي؟». حتى إنه رفض أن يسمّره الجلادون على خشب المحرقة قائلاً لهم: «الذي يقوِّني على احتمال النار سيمنحني القدرة على البقاء ثابتاً فيها دون مسامركم». يشار إلى أن الرسالة التي هي أقدم نص موجود يحكي أخبار شهيد، تتسم بطابع تعليمي بحد ذاته، بحيث أنها تخط أقدم تعليم عقائدي عن الاستشهاد وعلاقتنا بالشهداء والقديسين. فالشهيد يقتدي بالمسيح في آلامه وموته الطوعي. وتذكاره وبقاياه تصبح مصدر تعزية وبركة للمؤمنين. يقول النص أن مؤمني إزمير جمعوا بقايا أسقفهم الشهيد «ككنز أتمن من الجواهر وأشرف من الذهب الخالص»، لوضعها في المكان الذي يليق بها، «حتى نجتمع حولها، إن قدرنا الله، ممثلين فرحاً وسروراً، لإحياء ذكرى استشهاد».

كذلك يعرض النص بدقة للفرق الجوهرية بين عبادة الله وإكرام قديسيه: «هو (الرب) نعبده لأنه ابن الله. أما هم فنكرهم ونتعزى بهم كتلاميذ للسيد ومتشبهين به، وهذا عدل بسبب تفانيهم الذي لا يقارن في حبهم وطاعتهم لملكهم وإلههم».

وبقدر ما يعلي من شأن الشهادة يحذر النص من الحماسة العاطفية، مميزاً بين استفزاز الاستشهاد - الذي لا ينتمي إلى الإنجيل - وبين قبوله بطاعة وتواضع، اقتداءً بالسيد الذي «سيق كالشاة إلى الذبح» وتمجيداً لاسمه القدوس.

محاضرات

بمناسبة الصوم المبارك تدعو رعية كنيسة القديس نيقولاوس - الأشرافية لحضور سلسلة المحاضرات التالية التي ستقام عند الساعة السابعة من مساء كل خميس من أسابيع الصوم المبارك، بعد صلاة النوم الكبرى.

+ الخميس ٢٢ شباط ٢٠٠٧

«الكنيسة الدهرية والمكوت» لقدس الارشمنديت توما (بيطار).

+ الخميس ١ آذار ٢٠٠٧

«الخير والشر» لقدس الارشمنديت بندلايمون (فرح).

+ الخميس ٨ آذار ٢٠٠٧

«الإنسان المسيحي والأهواء» لقدس الأب منيف (حمصي).

+ الخميس ١٥ آذار ٢٠٠٧

«غاية الحياة المسيحية» للأُم مريم (زكا).

+ الخميس ٢٢ آذار ٢٠٠٧

«الإعتراف سرّ الشفاء» لقدس الارشمنديت أفرام (كرياكوس).

+ الخميس ٢٩ آذار ٢٠٠٧

صاحب السيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb